

بيان صفة ابتداء الخلق

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. قال رحمه الله تعالى: صفة ابتداء الخلق. قال: حدثنا أبو يعلى قال: حدثنا سريخ بن بونس قال: حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: أخبرني إسمايل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: { أخذ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بيدي، فقال: خلق الله -عز وجل- التربة يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام بعد العصر يوم الجمعة، آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة، فيما بين العصر إلى الليل } . قال: حدثنا العباس بن الفضل بن شاذان قال: حدثنا أبو حاتم محمد بن إدريس قال: حدثنا نعيم بن حماد قال: حدثنا محمد بن ثور عن ابن جريج عن إسمايل بن أمية عن أيوب بن خالد عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: حدثنا محمد بن ثور عن ابن جريج عن إسمايل بن أمية عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: خلق الله تبارك وتعالى يوم السبت، وخلق فيها الجبال يوم الأحد، والشجر يوم الاثنين، والمكروه يوم الثلاثاء، والنور يوم الأربعاء، وبث فيها الدواب يوم الخميس، وعد كما تعد السماء -يعني النبي- صلى الله عليه وسلم- وخلق آدم بعد العصر يوم الجمعة في آخر ساعة من ساعات النهار فيما بين العصر إلى الليل } . قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا أبو حاتم قال: حدثنا أبو صالح قال: حدثني يحيى بن أيوب عن ابن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: خلق الله تبارك وتعالى السماوات من دحان، ثم ابتداء خلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين، وذلك قول الله -عز وجل- { قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } ثم قدر فيها أوقاتها في يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، فذلك قول الله -عز وجل- { وَقَدَّرَ فِيهَا أَوْقَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِمَا اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } فسمكها وزينها بالنجوم، والشمس والقمر أجرامها في ليكهما، وخلق فيها ما شاء الله من خلقه وملائكته يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلق الجنة يوم الجمعة، فذلك قول الله -عز وجل- { خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ } وسبت كل شيء يوم السبت، فطمعت اليهود يوم السبت لأنه سبت فيه كل شيء، وعظمت النصارى يوم الأحد لأنه ابتداء فيه خلق كل شيء، وعظم المسلمون يوم الجمعة لأن الله -عز وجل- فرغ فيه من خلقه، وخلق في الجنة رحمته، وجمع فيه آدم وفيه هبط من الجنة إلى الأرض، وفيه قبلت توبته وهو أعظمها. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا هناد بن السري قال: حدثنا أبو بكر بن عباس قال: حدثنا أبو سعيد عن عكرمة عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال أبو السري قرأت عليه من هذا الموضع { أن اليهود أتوا النبي -صلى الله عليه وسلم- فسألته عن خلق السماوات والأرض؟ فقال: خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيها من منافع الناس، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمائر والخراب، هذه أربعة فقال: { قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ } إلى قوله: { سَوَاءٌ لِّلنَّاسِ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ } قال لمن سأل من خلق يوم الجمعة: النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه، وخلق في أول ساعة من هذه الساعات الأجل حين يموت من مات، وفي الثانية ألقى الأقات على كل شيء مما ينفع الناس، وفي الثالثة آدم أسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود، فأخرجه منها في آخر ساعة، ثم قالت اليهود: ما ذا يا محمد؟ قال: ثم استوى على العرش، فقالوا: قد أصبت لو أنميت! قالوا: ثم استراح!! فغضب النبي -صلى الله عليه وسلم- غضبا شديدا، فنزل: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ قَاصِرٌ عَلَيَّ مَا يَتَوَلَّوْنَ } . قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن عمران قال: حدثنا ابن أبي عمر العدني قال: حدثنا سفيان عن أبي سعيد عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: { قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } الآية. قال: أول ما خلق الله -عز وجل- الأرض في يومين: يوم الأحد ويوم الاثنين وجعل فيها رواسي، وقدر فيها أوقاتها في أربعة أيام. قال: ثم خلق الأنهار، وخلق الأشجار، وأجرى البحار، وجعل في هذه ما ليس في هذه، وفي هذه ما ليس في هذه، وجعل فيها منافع في يومين: يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وللأرضِ إِنِّي نَبِئُكِ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا نَبِيًّا سَمِعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ } يوم الخميس ويوم الجمعة، { وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا } فخلقها وما أراد أن يخلق فيها، فمن سأل: في كم خلقت السماوات والأرض؟ فقل كما قال الله -عز وجل- { قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ } الآية، فاجتمع الخلق يوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام في آخر ساعة من يوم الجمعة. قال: حدثنا أحمد بن جعفر الحمال قال: حدثنا أحمد بن عبد الرحمن قال: حدثنا عبد الله بن أبي جعفر الرازي عن أبيه، عن الربيع بن أنس -رحمه الله تعالى- { أَيُّ جَائِلٍ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةٌ } قال: إن الله تبارك وتعالى خلق الملائكة يوم الأربعاء، وخلق الجن يوم الخميس، وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، قال: وكفر قوم من الجن فكأنت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتفلقهم، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض، فمِنَ تَمَّ قَالُوا: { أَنْجَلْ فِيهَا مَنْ يُعْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ } . قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا يزيد بن هارون قال: أخبرنا شريك عن غالب بن عيлян عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن الله تبارك وتعالى خلق يوما فسماه الأحد، ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثا فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعا فسماه الأربعاء، وخلق خامسا فسماه الخميس. قال: فخلق الله -عز وجل- الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، ولذلك يقول الناس: إنه يوم ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحش والسمك والحيوان والبقية يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت. قال: حدثنا أحمد بن رسته قال: حدثنا محمد بن بكر الحضرمي قال: حدثنا أبو معشر عن سعيد المقبري عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إن الله تبارك وتعالى بدأ الخلق يوم الأحد والاثنين، وخلق الأقوات والرواسي في يوم الثلاثاء والأربعاء، وخلق الأرضين في الخميس والجمعة، وخلق فيها آدم عليه السلام تلك الساعة التي لا يوافقها عيد في صلاة يدعو ربه إلا استجاب له. قال: حدثنا محمد بن جعفر بن الهيثم قال: حدثنا سلمة قال: حدثنا عبد الرزاق قال: حدثنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد -رحمه الله تعالى- في قوله: { هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ حَيْثُ مَا كُنْتُمْ } قال: خلق الله تعالى الأرض قبل السماء فلما خلقها ناز فيها دحان، فذلك حين يقول: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ } قال: فسواهن سبع سماوات، يقول: خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها تحت بعض. قال: حدثنا محمد بن زكريا قال: حدثنا أبو حذيفة قال: حدثنا سفيان عن رجل، عن عكرمة سئل ابن عباس رضي الله عنهما: أيهما كان قبل؟ الليل أو النهار؟ فقرأ: { أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا } هل كان بينهما إلا ظلمة؟ وذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار. قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن الحسن قال: حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا خالد عن الشيباني عن عون بن عبد الله عن أخيه عبيد الله عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: { في الجمعة ساعة لا يوافقها أحد يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه } فقال عبد الله بن سلام -رضي الله عنه- إن الله -عز وجل- ابتداء الخلق، وخلق الأرضين يوم الأحد والاثنين، وخلق السماوات يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق الأقوات وما في الأرض يوم الخميس ويوم الجمعة، إلى صلاة العصر، فهي ما بين صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس. قال: حدثنا عبد الله بن عبد الكريم قال: حدثنا أبو زرعة قال: حدثنا سليمان بن عبد الرحمن قال: حدثنا ابن عباس قال: حدثنا عمارة بن غزيرة الأنصاري عن محمد بن إبراهيم بن الحارث عن أبي سلمة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت أبا القاسم -صلى الله عليه وسلم- يقول: { في سبعة أيام اختاره الله -عز وجل- على الأيام كلها: يوم الجمعة: فيها خلق الله السماوات والأرض، وفيها قضى خلقهن، وفيها خلق الله -عز وجل- الجنة والنار، وفيها خلق آدم عليه السلام وفيها أهبط من الجنة وناب عليه وفيها تقوم الساعة، ليس شيء مما خلق الله -عز وجل- إلا وهو يصيح صيحة ذلك اليوم شفقا من أن تقوم الساعة إلا الجن والإنس } . قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حدثنا حجاج بن المنهال قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عكرمة -رحمه الله تعالى- { أن اليهود قالوا للنبي -صلى الله عليه وسلم- ما يوم الأحد؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيه خلق الله -عز وجل- الأرض وكسبها. قالوا: الاثنين؟ قال: خلق فيه الله الجبال والماء وكذا وما شاء الله تعالى. قالوا: فيوم الأربعاء؟ قال: الأوقات. قالوا: فيوم الخميس؟ قال: فيه خلق الله -عز وجل- السماوات. قالوا: يوم الجمعة؟ قال: خلق في ساعتين الملائكة، وفي ساعتين الجنة والنار، وفي ساعتين للشمس والقمر والكواكب، وفي ساعتين الليل والنهار. قالوا: السبت؟ ذكروا الراحة فقال: سبحان الله!! وأنزل الله -عز وجل- { وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ } . قال: حدثنا الوليد قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف قال: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري قال: حدثنا عفان قال: حدثنا حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- نحوه. قال: حدثنا أحمد بن محمد المصاحفي قال: حدثنا ابن البراء قال: حدثنا عبد المنعم بن إدريس عن أبيه قال: ذكر وهب عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله تبارك وتعالى خلق قبل النار، وخلق رحمته قبل غضبه، وخلق السماء قبل الأرض، وخلق الشمس والقمر قبل الكواكب، وخلق النهار قبل الليل، وخلق البحر قبل البر، وخلق البر والأرض قبل الجبال، وخلق الملائكة قبل الجن، وخلق الجن قبل الإنس، وخلق الذكر قبل الأنثى. قال: حدثنا محمد بن يحيى المروري قال: حدثنا أبو خيمته قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي قال: حدثنا سفيان عن أبيه، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: سئل الليل كان قبل أم النهار؟ قال: رأيتم حين كانت السماوات والأرض رتقا هل كان بينهما إلا ظلمة؟ ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار. قال: حدثنا أحمد بن محمد بن شريح قال: حدثنا محمد بن رافع قال: حدثنا إسمايل بن عبد الكريم قال: حدثنا عبد الصمد بن مفضل عن وهب -رحمه الله تعالى- قال: قال عزيز عليه السلام: فتحت خزائن النور وطرائق الظلمة، فكانا ليلا أو نهارا يختلفان بامرئ، ثم أمرت التراب أن يفتح في وسط الهواء، فجعلت منه سبعا، وملائكته يسبحون بحمده غير محتاج إلى ذلك، ولا تستأنس بهم، ثم أمرت الماء ينفتح من التراب، وأمرت التراب أن يفتح في وسط الماء، فكان كذلك. ثم سميت جميع ذلك الأرضين، وجميع الماء البحار. ثم زعرت في أرضك كل نبات فيها بكلمة واحدة في تراب واحد تسقى بماء واحد، فجاء على مشيبتك مختلفا أكله ولونه وريحه وطعمه، منه الحلو، ومنه الحمض، ومنه المر والطيب ريح، والمنتن والقيح والجسن، ثم خلقت الشمس سراجا، والقمر نورا والنجوم ضياء، ثم خلقت من الماء دواب الماء، وطير السماء، فخلقت منها أعمى أعين بصرته، ومنها أصم أذان أسمعته، ومنها ميت أنفوس أحببته، خلقت ذلك كله بكلمة واحدة. منه ما غشيت به الماء، ومنه ما لا صبر له على الماء، خلفا مختلفا في الأجسام والألوان، جنسته أجناسا، وزوجته أزواجا، وخلقته أصنافا، وألهمته الذي خلقته، ثم خلقت من الماء والتراب دواب الأرض وماشيتها وسباعها، فمنهم من يمضي على بطنه، ومنهم من يمضي على رجلين، ومنهم على أربع، ومنهم العظيم والصغير، ووعدت إبراهيم عليه السلام أن تجعل ملوك ولد آدم عليه السلام في ذريته، فأصبح جميع خلقك على الذي قضيت لهم من المنازل التي أنزلتهم. قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال: حدثنا يحيى بن حميد بن أبي حميد قال: حدثنا عثمان بن عبد الله القرشي قال: حدثنا بقية قال: حدثني أرباطة بن المنذر الكلاعي قال: سمعت مجاهدا يحدث عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- { إن الله تبارك وتعالى فرغ من خلقه في ستة أيام، أولهن: يوم الأحد، والاثنين والثلاثاء والأربعاء والجمعة. خلق يوم الأحد السماوات، وخلق يوم الاثنين الشمس والقمر والنجوم، وخلق يوم الثلاثاء دواب البحر ودواب البر وفجر الأنهار وقوت الأقوات، وخلق الأشجار يوم الأربعاء، وخلق يوم الخميس الجنة والنار، وخلق آدم عليه السلام يوم الجمعة ثم أقبل على الأمر يوم السبت } . قال: حدثنا أحمد بن سليمان بن أيوب قال: حدثنا عمرو بن عيسى الضبعي قال: حدثنا محمد بن سواء عن سعيد بن قتادة عن عمرو بن عيлян التقي رحمه الله تعالى، قال -وهو على هيئة البصرة- حدثنا هذا الرجل الصالح من أهل الكتاب -يعني: كعب رحمه الله تعالى- أن الله -عز وجل- أسس السماوات السبع والأرضين السبع على هذه السورة: { قُلْ هُوَ الَّذِي أَحَدَ } . وهكذا خلق الله تعالى هذه المخلوقات كل يشاء، ومع ذلك فإنه سبحانه هو المنفرد بخلقها، ولم يتحج في خلقها إلى مادة تتكون منها، بل خلقها كما شاء. ذكر الله أنه { رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْمَسُنَّ لِيَلَّهَا وَأَحْرَجَ صَخَّاهَا } يعني: أظلم ليلها، وأخرج ضحاها يعني: نهارها، وجعلها قرارا يعني: هذه الأرض قرارا لعباده، وجعل السماء سقفا محفوظا، حفظه من استراق الشياطين في قوله: { وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ } وأما ترتيب خلقها: هل السماء قبل الأرض؟ أو الأرض قبل السماء؟ فهذا الله أعلم به، ولكن طاهر الأدلة تدل على أن الأرض جُلِّقَتْ قبل السماء. وذلك لأنه فصلت: { قُلْ إِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ } وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِي مِنْ قَوِّهَا } وهي الجبال { وَقَدَّرَ فِيهَا أَوْقَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ } أي: خلق الأرض، وخلق الجبال، وخلق الأقوات، وخلق الأشجار وما فيها، وخلق الدواب. ذكر أنه في أربعة أيام { خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوَاسِي مِنْ قَوِّهَا وَتَبَارَكَ فِيهَا } يعني: جعل فيها البركة في ماها وفي نباتها، { وَقَدَّرَ فِيهَا أَوْقَاتَهَا } يعني خلق فيها ما تحتاج إليه من الأقوات ومن الأرزاق للجمع أربعة أيام. خلق الأرض وما فيها. والأرض ذكر في الأحاديث أنها سبع أرضين، بعضها تحت بعض، الله هو العالم أين تقع بقية الأرض؟ ومن يعمرها؟ ولا يحيط بها إلا الله. نحن إنما نشاهد هذه الأرض التي يرى ما فيها، سعتها، وكثرة الخلق الذين يعمرونها. الله أعلم ببقية المخلوقات، فالله تعالى هو المنفرد بذلك، فإذا اعتبر المؤمن ونظر عرف أن الأرض خلقت قبل السماوات. ثم قال تعالى: { ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ } { قَفَّضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرًا } خلق السماوات في يومين، كما يشاء، مع أنه قادر على أن يخلقها في لحظة، ف { إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } . س: هل صحيح أن المطر ناتج عن تبخر مياه البحار؟ الله أعلم، ولكن ليس هذا صحيحا، ولو كان كذلك لوجد أن ذلك، وهذه الذين يركبون الطائرات الجوية فهم يخلقون في هذا الجو، ولا يجدون هذه الرطوبة، ومع ذلك يجيء المطر من تحتهم، يخلق الله تعالى هذا السحاب ويكون تحتهم، ويمطر وهم فوقه، فدل على أن الله تعالى إذا أنشأ هذه السحب حَمَلَهَا بهذا الماء